تعليميّة الأدب (اللّفظ والمعنى) في المرحلة المتوسطة بالمدرسة الجزائريّة

أ. محمودي عبد الكريم
المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة – الجزائر

إنّ تدريس النّص الأدبي في المرحلة المتوسطة يهدف إلى تبيان مواطن القوّة والضّعف فيه، وأسبابها وعلاجها، وعلى هذا يجب أنْ يدرس النّص الأدبي وفق خطوات منهجيّة يتبعها المعلّم أثناء عمليّة التّدريس خطوة بعد أخرى، حيث يبدأ التّدريس من الظروف التي هيأت لميلاد النّص إلى غاية الفوائد العمليّة من هذا التّدريس، وهذا من أجل تأثر التّلاميذ بما في الأدب من أفكار وأساليب رائعة تظهر في التّعبير الشّفوي أو الكتابي للقارئ أو المستمع، لأنّ القارئ أو المستمع المحب للأدب يتأثر به ومع مرور الزّمن يحاكيه بطريقة تلقائية، أي أنّ مدّرس الأدب النّاجح هو الّذي يجعل هذه الأهداف نصب عينيه، وأنْ يتبع خطوات منهجيّة في تدريسه للتّلاميذ حتى يكون هذا التّدريس فعّال.

الكلمات المفتاحيّة:

التّدريس: التّدريس عبارة عن نشاط هادف، أي يتم عن قصد يقوم به المعلّم مع المتعلّمين، ويستلزم وجود طرائق ومتطلبات للقيّام بهذا النّشاط من أجل إحداث التّغيير الإيجابي لدى المتعلّم.

الأدب: هو ما أنتجه الكتّاب والشّعراء من جميل النّثر والشّعر مما يصوّر عاطفة أو يصف منظرًا، ويشترط فيه أن يحدث في نفس قارئه أو سامعه لذةً فنيّة، وإعجابًا خاصًا، وهو الفكرة الجميلة في العبارة الجميلة.

خطوات تدريس النّص الأدبي: يتم تدريس النّص الأدبي وفق الخطوات التّاليّة:

1 – تحديد أهداف التّدريس العامة: يختار منها المدّرس ما يتجاوب مع موضوع الدّرس كتذوق الجمال في النّص الأدبي وعمق الفكرة، والمتعة النفسية وزيادة الثّروة اللّفظية...

2 – تحديد أهداف التّدريس الخاصّة: مثل سلامة النّطق ودقته، ضبط الحركات والسكنات، القراءة التّعبيريّة المصوّرة للمعنى وفهم المعاني في النّص الأدبي، وكذلك فهم المعنى العام، والفوائد العمليّة من هذا النّص ومعرفة نبذة عن حياة الأديب، وحفظ القصيدة داخل القسم أو إرشادهم إلى كيفيّة حفظ القصيدة خارجه.

3 – وسائل الإيضاح: الكتاب المدرسي، أو النّصوص المختارة المطبوعة أو المكتوبة على السّبورة، صورة الكاتب، شاعرًا أو ناثرًا، وشيء من إنتاج الكاتب كيفيّة تنظيم السّبورة والكتابة بخط واضح ومقروء على السّبورة، وكتابة الألفاظ الصّعبة، والتّراكيب الغامضة ومعانيها على السّبورة.

4 خطوات التّدريس:

4. 1– التّمهيد: في هذه الخطوة يهيئ المعلّم تلاميذه لتقبل المادّة الجديدة وذلك عن طريق القصّة والحوار، أو بسط الفكرة، بحيث تثير في نفوس التّلاميذ الذّكريات المشتركة فتشدهم إلى التّعلق بالدّرس، وهذه الخطوة تعتبر أساسيّة لأنّها واسطة من وسائط النّجاح وطريقة تؤدي إلى فهم الدّرس وتوضيحه، وفي هذه الخطوة أيضًا يحفز المعلّم تلاميذه على التّفكير فيما سيعرضه عليّهم، وقد يكون ذلك بإلقاء أسئلة تدور حول الدّرس السّابق، إذ يصبح التّلاميذ على علم من غاية الدّرس، ويكون ذهنهم قد استعاد بعض ما يعرفونه من المعلومات السّابقة، ثم يتّجه انتباههم وتفكيرهم إلى الخطوة اللاحقة، وللتّمهيد وظائف أهمها:

جلب انتباه الطلبة إلى الدّرس الجديد وإزالة ما علق بأذهانهم بالدّرس الذي سبق والإقبال إلى الدّرس الجديد وربط الموضوع السّابق بالموضوع الجديد وتكوين الدّافع لدى الطلبة باتجاه الدّرس الجديد.[1]

4. 2- العرض: يعرض المدّرس في هذه الخطوة مادّة الدّرس على وفق المحاور والعناصر التي خطط لها مسبقا، وهنا لابد من مشاركة التّلاميذ بالحديث عن هذه العناصر على وفق إمكانياتهم على أنْ يجعل هذه الخطوة (العرض) قائمة على النّقاش المتبادل بينه وبين تلاميذه أنفسهم مرة أخرى، وأنْ يحافظ المعلّم على توجيه نقاشهم الوجهة الصّحيحة.

4. 3-القراءة: القراءة نوعان من حيث الشّكل: قراءة صامتة وأخرى جاهرة وفي تحديد بأيّتها يبدأ المعلّم، يجب عليه أن يكون على وعي تام بمستوى تلاميذه القرائي، وبمدى صعوبة النّص وسهولته، فإذا كان التّلاميذ في مستوى كاف من القراءة الجيّدة، وكان النّص سهلا فلا مانع من أن يستهل المعلّم معالجة النّص بالقراءة الصامتة، وإن كان الأمر غير ذلك فمن العبث وتضييع الوقت أن يطلب منهم قراءته قراءة صامتة، فالمعلّم هو الذي يقرّر الخطوة التّاليّة وهنا نفترض أن تكون الخطوة الأولى في المعالجة.[2]

4. 4-القراءة الصّامتة: وهنا يطلب المعلّم من تلاميذه قراءة النّص نثرًا كان أو شعرًا قراءة صامتة وينبههم إلى وضع خطوط تحت الكلمات الصّعبة والعبارات الغامضة، ويمكن إعطاء تعريف القراءة الصّامتة على أنّها "قدرة القارئ على فهم وإدراك معاني المادّة المقروءة دون استخدام أجهزة النّطق ويأتي ذلك إذا امتلك القارئ القدرة على ترجمة المادّة المقروءة إلى دلالات ومعان، والقراءة الصّامتة لا تتحقق إلاّ إذا كانت مسبوقة بالقدرة على القراءة الجهريّة، وما يصاحبها من التّعرّف على أشكال الحروف وأصواتها، وهي بذلك

تقوم على ثلاثة عناصر، وهي النّظر بالعين إلى المادّة المقروءة، قراءة الكلمات والجمل، والنّشاط الذهني المصاحب والمؤدي إلى الفهم."[3]

4. 5 أهداف القراءة الصّامتة: لقد بيّنت البحوث التّربويّة والنّفسيّة أنّ القراءة الصّامتة تحقق الأغراض التّاليّة:

– العناية البالغة بالمعنى، واعتبار عنصر النّطق مشتتا يعيق سرعة التّركيز على المعنى، والالتفات إلى الخبرات الفنيّة التي تتاح للقراءة الصّامتة.

– أنّها أسلوب القراءة الطبيعيّة التي يمارسها الإنسان في مواقف الحياة المختلفة يوميًا ولهذا يجب التّدريب عليها وتعليمها للأطفال منذ الصغر.

– زيادة قدرة التّلميذ على القراءة والفهم في دروس القراءة وغيرها من المواد، وهي تساعده على تحليل ما يقرأ والتّمعن فيه، وتنمي فيه الرّغبة لحل المشكلات، والقراءة الصّامتة من أهم الوسائل التي تحقق للقارئ كثيرًا من الأهداف لأنّها تيسّر له إشباع حاجاته وتنمية ميوله وتزوده بالحقائق والمعارف والخبرات الضروريّة في حياته.

– زيادة حصيلة القارئ اللّغوية والفكريّة، لأنّ القراءة الصّامتة تتيح للقارئ تأمل العبارات والتّراكيب وعقد المقارنات بينها، والتّفكير فيها، مما ينمّي ثروته اللّغوية كما أنّها تيسّر له الهدوء الذي يمكّنه من تعمق الأفكار ودراسة العلاقات بينها.

4. 6– القراءة الجاهرة:

أولاٍ– قراءة المعلّم: يقوم المعلّم بقراءة النّص قراءة نموذجيّة، مرة أو مرتين حسب مستوى الطلاب أو التّلاميذ ويراعي في قراءته للنّص حسن الأداء، وتمثيل المعنى، وجمال الإلقاء، ودقة الضّبط وحسن الوقف، وينبّه المعلّم إلى ضرورة متابعة قراءته، ووضع الحركات بأقلامهم على مواضعها في كتبهم، أمّا إذا كانت

القطعة الأدبية كبيرة فيمكن تقسيمها إلى وحدات، بحيث تتناول كل وحدة مجموعة مترابطة من الأفكار والمعاني.[4]

ثانيا – قراءة التّلاميذ الأولى: يقوم التلاميذ بقراءة النّص مرة أو مرتين أو أكثر، بحيث يقرأ كل تلميذ وحدة من النّص إذا كان طويلا، أو كله إذا كان قصيرًا، وعلى المعلّم هنا أن يصحح إلقاء التّلاميذ واللّحن الذي يقعون فيه، من غير تحليل، أو شرح لمعنى المفردات، لأنّ الغرض من هذه الخطوة التّمرين على القراءة ليس غير.

ويستحسن أن تستمر هذه الخطوة حتى يحسنوا القراءة، وتزول صعوبات نطق الكلمات الصّعبة في النّص المدروس، ثم تأتي بعد ذلك قراءة التّلاميذ الثانية أي حسب نوعية النّص.

ثالثًا – المناقشة العامة: وطريقتها أن يوجّه المعلّم مجموعة من الأسئلة تتناول الأفكار البارزة في النّص، يختبر بها مدى ما فهموه مستقلّين، وهذه الأسئلة تعين على تكوين صورة مجملة متكاملة، لموضوع النّص في أذهان التّلاميذ.

ج– الشرح التّفصيلي[5]: يسير على النّحو الآتي:

1– يقرأ أحد التّلاميذ الوحدة.

2– تفسير بعض الكلمات الضروريّة الواردة في الوحدة لغويًا، وتدوين معانيها على السّبورة مع ملاحظة أن يتوخي المعلّم في شرحه السّهولة وأن تكون الكلمة مطابقة للمعنى الأصلي وأن تكون الكلمات المفسّرة مما يتوقف على فهمها فهم العبارة ولشرح المفردات اللّغوية أساليب متنوعة منها:

– ذكر المرادفات وذلك بذكر مرادفاتها المستعملة المألوفة.

– ذكر الأضداد وذلك بتعريف التّلاميذ بأضداد الكلمة المألوفة لديهم.

– التّعريف ويقصد به تحديد معنى الكلمة عن طريق أوصافه، وخواصه.

– التّفصيل والتّشبيه وذلك بتفهيم المعنى بذكر تفرعاته، ومتعلقاته.

– الاشتقاق وذلك بذكر مشتقات الكلمة أو جذورها.

3– مناقشة المعنى العام للو حدة، من خلال طرح أسئلة جزئية شريطة أن يتألف من مجموعة من الإجابة عنها المعنى العام للوحدة، وتفيد هذه الأسئلة في اختصار الوقت والطريق إلى المعنى العام، كما تهيئ الفرص لتدريب التّلاميذ على التّعبير.

4– يصوغ أحد التّلاميذ من الأسئلة السّابقة المعنى العام للوحدة في عبارة متماسكة مترابطة، فإذا تعذر ذلك عليه ساعده أخر وهكذا....حتى يستقيم المعنى وعلى المعلّم أن يترك الأمر في الصوغ إلى التّلاميذ، ويكتفي بدور الموجّه فإذا ما عجزوا قام هو بذلك.

د– التّحليل: أي يقوم التّلاميذ بتحليل النّص الأدبي مع المعلّم حسب الخطوات المتبعة في التّحليل وبقدر المستطاع.

ه – الاستنباط: بعد الانتهاء من التّحليل يستنبط التّلاميذ بتوجيه من المدّرس بعض النّتائج مثل:[6]

– مدى ما يصوّره النّص من ظواهر البيئة الطبيعيّة أو الاجتماعيّة ومن صور الحياة السياسيّة ونحو ذلك.

– بعض الخصائص الفنيّة للنّص من حيث المعاني والألفاظ.

– بعض الأحكام عن الشاعر: مميزاته ومدى موافقته أو مخالفته لشّعر عصره.

– بعض الأحكام عن العصر، والاتجاهات الأدبيّة فيه، وذلك بالرّبط بين هذا النّص والنّصوص الأخرى، التي سبقت دراستها، وذلك لتأليف الصّورة الأدبيّة العامّة للعصر.

– تقييم النّص، ومعرفة مكانته وقيمته بين نّصوص الأدب وأهميته.

– وينبغي الحرص دائمًا على أن تكون هذه الحقائق المستنبطة نابعة من النّص نفسه يحسه الطالب، ويزداد إحساسه بها كلما زاد فهمه للنّص، ويمكن الإشارة هنا أنّ تدريس النّصوص النّثريّة والنّصوص الشّعريّة لا فرق بينهما، أي تتبع نفس الطريقة وتقوم الفقرات في النّص النّثري مقام الوحدات في النّص الشّعري.

وينبغي على المدّرس أن تكون له مقوّمات الشّخصية التّدريسيّة، حتى يكون تدريسه ناجح وفعّال ومن بين هذه المقوّمات التي لا بد أن تتوفر فيه ما يلي:[7]

1- غزارة العلّم ودقة التّعبير، وجزالة الأسلوب والإلقاء التّعبيري وحسن الاستشهاد بالنّصوص.

2- الفصحى في الحديث والتزام المدّرس بها، والبعد عن العاميّة، وعن تكرار كلمات معيّنة من غير مبرّر لها.

3- الثّقة بالنّفس ودقة الانضباط واليقظة والانتباه إلى مدى تجاوب التّلاميذ أو الطلاب معه، والانتّباه إلى أخطائهم وتصحيحها.

4- أدب التّعامل مع الطلاب وحسن الخلق وبعد النّظر في التّربية والتّوجيه.

5- المظهر المقبول من غير إهمال ولا تأنق.

فمدّرس النّص الأدبي لا بد أن يتعرف إلى الطرق التي تيسّر تدريس النّص الأدبي بالإضافة إلى توفر المقوّمات السّابقة الذّكر فيه، كما يتعرف إلى القواعد النّفسيّة التي تراعى في تدريسها ويتعرف إلى الفروق الفرديّة بين تلاميذ الفصل في ذكائهم، وميولهم، ورغباتهم، وقابليتهم، كل ذلك يكسب المدّرس مهارة في اختصاصه ويزيد من الفائدة العلميّة والأدبيّة لتلاميذه ويتجنب من المزالق، ويقيّم التّدريس على قواعد علّمية صحيحة مشوّقة ومثمرة في المستقبل. ويمكن الإشارة في الأخير أنّه ليس بالضرورة على المعلّم، التّعمق في كل خطوات تدريس النّص الأدبي في السّنة الأولى متوسط، فهناك بعض الخطوات، يتطرق إليها المعلّم

سطحيًا فقط، ولا يقف المعلّم عندها كثيرًا، أي أنّ المعلّم يراعي مستوى التّلاميذ لهذه المرحلة التّعليميّة.

تحليل النّص الأدبي

ما قبل تحليل النّص الأدبي:

أ – قائل النّص:[8] إنّ أوّل ما ينبغي أن يقوم به دارس النّص الأدبي، هو إلقاء الأضواء على قائله، ففي هذا الإلقاء، كشف للكثير من جوانب النّص – حين درسه وتحليله وتوضيح لبعض الأمور الغامضة فيه. ذلك لأنّ للقائل–شاعرًا أو كاتبًا–مجموعة من العواطف والمشاعر والاتجاهات النّفسيّة التي يصدر عنها في فنه الأدبي شعرًا أو نثرًا، وهي أمور تتحكم فيها مجموعة من العوامل والمؤثرات المحيطة به، عامة كانت هذه المؤثرات أو خاصّة، فالعامّة كالمؤثرات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، والخاصّة كالأسرة والنّشأة والحياة الخاصة، والقبيلة والبلد والأساتذة. ومما لا شك فيه أنّ هذه المؤثرات، هي التي تكوّن الأديب نفسيّا وفكريّا وبالتّالي توجّهه. حينما يعبّر عن عواطفه وانفعالاته وشعوره وفكره.

ولكن دراسة هذا الجانب ينبغي أن يكون في حدود "الإيجاز" الذي يكشف الغامض ويوضح الملتبس في النّص، ويعين على فهم نفسيّة الأديب وشعوره ويرشد إلى السّر في اختياره لألفاظه وتراكيبه، وصوّره الفنيّة وموسيقاه، ويرجع الكثير من هذه الظّواهر الفنيّة إلى منابعها التي تعود إلى تلك العوامل والمؤثرات فمثلاً "تذوقنا لشعر المتنبّي يكون أشدّ عمقًا، وأقوى روعة حين نعرف عن حياته وفهمنا لإبداع المعرّى يبدوا أكثر وضوحًا حين نقرؤه في ضوء حياته، وما أحاط بها، وتعليلنا لدقّة ابن الرّومي يقترب من الحقيقة أكثر حين نعرف أصوله الأولى وما ارتبطت به من اتجاه في الفن أو الفهم والتّعليل.[9]

ب– مناسبة النّص: إنّ أوّل ما يتوجه إليه دارس النّص، بعد انتهائه من إلقاء الضّوء على حياة الأديب هو كشف النّقاب عن مناسبة النّص، والمقصود بها

الأحداث والعوامل المثيرة التي حرّكت روح الأديب وجعلته يكتشف موضوعه من الأحداث الخارجيّة، أو الانفعالات الدّاخليّة التي وقعت على شخصه أو مسّت الذين حوله، كالأحداث المثيرة للفرح، أو المحركة للأحزان، أو الباعثة على اليأس أو التّفاعل أو الغضب أو الحقد أو الحب، أو غير ذلك من العواطف التي تثيرها تلك الأحداث، ولا شك أنّ الحديث عن المناسبة هذه تعين على فهم النّص فهمًا دقيقًا وتعين كذلك على أبعاده وجوانبه، وهذا وذلك يساعد على فهم الجوانب الفنيّة في النّص.

ج- قراءة النّص:[10] بعد الوقوف على حياة الأديب، وبعد معرفة الملابسات والظروف والأحداث التي هيأت لميلاد النّص، من أحداث وعوامل وتجربة شعريّة عايشها الأديب خلال هذه الأحداث أدت في النّهاية إلى إحساس الأديب ورغبته في التّعبير عنها فبعد هذا كلّه على دارس النّص أن يخلص إلى قراءة النّص قراءة صحيحة واعيّة، تفصح عن فهمه له وإحساسه به، ووقوفه على مضمونه.

وَيَهُمنا ونحن في مجال تدريس النّص الأدبي أن يقوم الطلاب بقراءة النّص بعد قراءة الأستاذ للنّص قراءة توجيه وإرشاد للكيفيّة الصّحيحة للقراءة، بحيث يقرأ كل طالب النّص كاملاً إن كان قصيرًا، أو يقرأ مقطعًا منه إن كان طويلاً ويُقوّمُ الطالب من خلال قراءته تقويمًا نحويًا وصرفيًا ولغويًا وعروضيًا وإلقائيًا وينبغي خلال هذه القراءة، أن يقف الطالب على موضوع النّص، والأفكار التي يحتويها، حيث يقسم النّص إلى فقرات إذا كان طويلاً، وأن يحدد لكل فقرة عنوانًا يدّل على الفكرة التي تحتويها الفقرة، مع مراعاة أنّ الفقرة جزء ينتمي إلى كل وبذلك يلّم الطالب، بموضوع النّص وأفكاره قبل الشروع في تحليله وهذا أمر يساعده كثيرًا في الوقوف على دقائق النّص أثناء الشّرح والتّحليل وخلال هذه القراءة أيضًا يجب أن توضّح الألفاظ الغامضة ومعرفة ما يريد منها الشاعر بدقة"

لأنّ الكلمة في القصيدة يمكن أحيانًا أن تتجاوز دلالتها المحددة لها في الاستعمال الشائع، أو الذي تعطيه لها معاجم اللّغة حيث يدفع الشاعر في شراييها بدم جديد فيعطيها ملمحا خاصًا تكتسبه من الإيقاع أو السِّياق، أو حتى من الألفاظ المجاورة لها.[11]

ومن هنا فإنّ ألفاظ الشاعر لا تعطى معنى فحسب، وإنّما تثير لونًا وطعمًا ورائحةً وظلاً وحركة. وخلال القراءة كذلك ينبغي أن تلتقط الجمل، أو الفقرات أو الأبيات التي يمكن أن نجد فيها الملامح الأصيلة للشاعر، والأشكال ذات المغزى والعبارات الهامّة الأشد ارتباطًا بالموضوع، أو التي تعكس في قوّة خصائص أسلوبه، لأن قراءة النّص تتجاوز الحروف والألفاظ إلى ما يستتر خلفها من مشاعر وأحاسيس، والقارئ الفاهم يستطيع أن يفك ألغازها، وأن يكتشف العالم الفكري للشاعر كاملاً. [12]

د/بيئة النّص: زمانًا ومكانًا[13]: إذا انتهت القراءة الواعيّة للنّص على ضوء الأسس السّابقة يجئ ما يمكن أن نسميه وضع النّص في موضعه زمانًا ومكانًا فنحدد عن طريق العصر، التّيار الأدبي الذي كان سائدًا على أيامه: عصر طبع أو صنعة أصالة أو تقليد، تجديد أو محافظة؟ وأي التّيارات غلب عليّه الرّومانسيّة، أو الواقعيّة أو غيرها من المذاهب وأي القضايا شغلت أهل عصره: ذاتيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة، وإذا كان للبيئة الزّمانيّة دخل في هذا كلّه، فإنّ للبيئة المكانيّة دخلاً كذلك، فالموضوعات والاتّجاهات الفنيّة التي شغلت الشعراء في العصر الأموي مثلاً في الحِجَازْ غير التي شغلتهم في بوادي (نجد)، وغيرها في العراق وهكذا، وتحديد البيئة زمانًا ومكانًا يضع يد دارس النّص على الاتجاه الأدبي الذي ينتمي إليّه الشّاعر، أو المذاهب الأدبيّة التي خرج عليها.

المحتوى أو (المضمون):[14] عند تناول الدّارس للمحتوى ينبغي أولاً أن يحدد موضوع النّص وهو ما يمكن أن يكون عنوانًا له، وفي الغالب يعالج النّص عددًا من القضايا أو الأفكار العامّة ومن المهم أن نقسم النّص من حيث الأفكار العامّة إلى مقاطع، يسمى كل مقطع باسم يحمل الفكرة التي يحتويها، ومن المهم أيضًا أن نتناول العناصر الفرعية أو على الأقل المعاني الجزئية التي يحتويها كل مقطع من خلال أبياته التي اشتمل عليها.

– بعد تقسيم النّص إلى أفكار عامة، وتقسيم كل فكرة منها إلى عناصر فرعية يأتي شرح هذا المحتوى فكرة، أي مقطعا مقطعًا، يأتي بعده شرح وتبيان العناصر الفرعيّة التي تحتويها الأبيات. وينبغي أن يكون معلومًا أن توضيح هذه الأفكار العامّة، وما تحتويه من عناصر ومعان جزئيّة، يجب أن يكون دقيقاً بلا إطناب ولا ثرثرة.

وخلال معالجة المحتوى على نحو ما تقدم يقوم دارس النّص بشيئين:

– بيان الوحدة الموضوعيّة.

– بيان القيّم الموضوعيّة.

أمّا بالنسبة للأولى، فعلى الدّارس أن يقوم بالكشف عن مدى التّرابط بين أجزاء المضمون العام للنّص التي تمثلها أفكاره العامّة، وعن مدى التّرابط أيضا بين عناصر الفكرة العامّة، التي تمثلها أبيات كل فكرة، بحيث يكشف عن مدى هذا التّرابط والتّلاحم أو يكشف عن مدى التّفكك والانفصال .

ولا يستطيع أحد أن يتعلل للتفكك والانفصال بتعدد موضوعات النّص، فذلك أمر يمكن للأديب حسمه بحسن تلطفه، ودقة تخلصه، فتبدو المقاطع غير متنافرة وكأن كل مقطع ينادي أخاه، وهذا يدل على فهم الأديب لموضوعه وحسن تأديته له، وأمّا الشيء الثاني فيقوم فيه الدارس باستجلاء ما في النّص من أفكار موضوعيّة وقيّم شعوريّة ومعان إنسانيّة، وشرحها وبيان ما فيها من صدق أو

كذب، ومن صحة أو خطأ ومن وضوح أو غموض، ومن سطحيّة وابتذال، أو بعد وعمق، ومن ذاتيّة أو موضوعيّة.

الشكل أو(القالب الفني):[15] ينبغي لدارس النّص قبل أن يعرض السّمات الفنيّة للشكل أن يحدد القالب الفني الذي اتخذه الأديب مجرى لإبداعه أهو الشّعر غنائيًا أو مسرحيًا أو ملحميًا أم النّثر قصّة أو مقالة، أو رسالة أو خطبة فلكل لون من ذلك أصوله وطرائقه، وعلى الدّارس بعد تحديد القالب الفني للنّص، أن يبدأ في تناول أسلوب الأديب ونعني بالأسلوب طريقة التّعبير وخصائصه، وفي الأسلوب يدرس الألفاظ التي انتقاها وطريقته في تكوينها، ويدرس الألفاظ والعبارات وكيف صاغها وألف بينها، كذلك يدرس الصّور، وكيف ألفّها، كذلك يدرس موسيقي النّص وفق علم العروض.

الألفاظ: وهذا جانب هام من جوانب الدّراسة الفنيّة للنّص فمما لاشك فيه أنّ اختيار الألفاظ المناسبة يلعب دورًا مهمًا في الخلّق الأدبي، فالكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النّفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدّلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ويدخل في ذلك أمور كثيرة يجب مراعاتها عند تحليل الألفاظ:

1- الدّقة: ومعناها أن يختار الأديب من الألفاظ أدقها تعبيرًا عن المعنى الذي يجول في نفسه، فإذا لم يحسن الأديب اختيّار كلماته عدّ ذلك عيبًا.[16]

2 الإيحاء: اللّفظ الموحي، وهو اللّفظ الذي يثير في النّفس معاني كثيرة، كأنّه نوع من البث الغامض، ويرجع الإيحاء في اللّفظ إلى أمور كثيرة، منها ما لحق باللّفظ تاريخيًا أو أسطوريًا أو دينيًا أو شعريًا، ومنها ما يعود إلى جرسه الموسيقي.

3 الاشتقاق: ونعني به الصّيغ المختلفة للمادّة الواحدة، وفي هذا الجانب ينظر الدارس ليرى، كيف يختار الأديب ألفاظه ذات الاشتقاق الموحى بالمعنى على

نحو أتمّ، مثل الألفاظ ذات الحروف المضعّفة، أو التي زيدت فيها حروف، أو الألفاظ الدّالة على المبالغة.

الألفاظ وموضوع النّص: يدرس في هذا المجال مدى مراعاة الكاتب لألفاظه ومدى تناسبها للموضوع من الجزالة والقوّة، أو السهول واللّين، أو الوضوح والغموض.

الألفاظ ومدى دلالتها على نفسية الأديب: لا شك أنّ لكل أديب معجمه اللّغوي الذي يجول فيه، وينتقي منه الألفاظ التي تعبّر عن نفسه أدق تعبير فيلاحظ الدّارس مثلا تردد كلمات بأعيانها في النّص كالموت، والعدم، أو النّور والضياء، أو الحياة والبهجة، أو المكارم والمعاني وغير ذلك، وحين يبحث عن السّر في تردد مثل هذه الألفاظ يجد الباحث أنّ ذلك يرتبط بالتّكوين النّفسي للأديب الذي قد يكون مردّه إلى النّشأة والبيئة، هذه الجوانب الفنيّة السّابقة في دراسة الألفاظ، لا ينبغي أن ننظر إلى اللّفظ من خلالها "نظرة استقلاليّة" بمعنى أن يدرس اللّفظ مفردًا بل ننظر إليّه من خلال مجاورة اللّفظ لأخيه وترابطه به، حتى تعطى الألفاظ المعنى الذي يقصد الأديب إبرازه، ومن هنا لا نجد قيمة فنيّة للفظ ما لم يكن منتظمًا في سلك مع ألفاظه مكونة ما يسمى "بالعبارة"[17]

العبارة: يقصد بالعبارة "مجموعة ألفاظ منسقة على نحو معيّن لأداء معنى شعوري وتستمد العبارة دلالتها في العمل الأدبي من مفردات الدلالات اللّغوية للألفاظ، ومن الدّلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معيّن ثم من الإيقاع الموسيقي، الناشئ، من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغمًا بعضها مع بعض"[18]، ومنه فالعبارة هي التّعبير الحقيقي عن التجربة الشعورية، لا الألفاظ المفردة وليست الألفاظ المفردة إلاّ لبنات في بناء واحد متكامل هو العمل الأدبي، وللعبارة أنماط متعددة، وأشكال عدّة، فقد تأتي العبارة في قالب الخبر أو قالب الإنشاء، ويتشكل المعنى المقصود من الخبر من خلال سياقاتها، وكذا يتشكل

المقصود من الإنشاء من خلال أنواعه أمرًا أو نهيًا، أو نداء، أو استفهامًا أو عرضًا، أو إغراء، أو تحذيرًا ومن خلال سياقاتها، وهذه الجوانب هامة يجب دراستها وتحليلها، وبيان قيمتها التّعبيرية في أداء المعنى وإبرازه، وإذا كنا ندرس العبارة مستقلة لنرى قيمتها الفنيّة في التّعبير عن المعنى، على نحو أتم، ونرى من خلال ذلك مدى تجانس الألفاظ وتآلفها وامتزاجها في دلالتها على هذا المعنى فإذا كنا ندرس العبارة على هذا النّحو وجب علينا أنْ ندرس أيضًا وجه الترابط والتلاحم بين العبارات التي تكوّن المقطع. لنرى مدى توفيق الأديب في إحكام بناء العبارات على نحو فني دقيق أو عدم توفيقه، وخلال هذه الدّراسة يكشف عن مدى الوحدة الفنيّة التي تنظم هذا البناء الأدبي.[19]

وعلى دارس العبارة ألاّ يقف بها عند هذا الحدّ بل عليه أنْ يدرس جوانبها الأخرى من المزايا الموسيقيّة والتّصويريّة والإيحائيّة، التي ترقى بها إلى مستوى التّعبير الجميل ومنه "فإنّ النّظر إلى دلالة العبارة من ناحية المعنى فقط قد لا يدّلنا على قيمة العمل الأدبي الحقيقيّة التي هي في المعاني المشعة الموحيّة التي تكمن خلف العبارات."[20]

الصّورة الفنيّة: للصّورة الفنيّة مكانتها في النّص الأدبي وبخاصّة الشّعر فهي التي تعطيه القدرة على الإيحاء، والتّأثير، فالشّعر لذلك يكتسب أهميّة ودوره وغناءه من الصّورة الشّعرية، لأنّها هي التي تعطي الألّفاظ المؤلّفة للّغة قدرتها الإيحائيّة في الدّلالة، وعلى دارس النّص الأدبي أن يتوجّه إلى دراسة الصّورة الفنيّة في النّص، يتناول ألّفاظها المكوّنة لها، والبيئة التي استمدّت منها وأنماطها المعبّرة عنها من تشبيه ومجاز مرسل واستعارة وكناية، كما يتناول قيّمها في كل نمط منها، وإيثار الأديب لنمط منها دون الآخر.[21]

الموسيقى: المقصود بالموسيقى في الشّعر هما الوزن والقافية، وبهذا يميّز الشّعر عن النّثر في المدرسة القديمة، لأنّ النّثر في المدرسة الحديثة يشمل على الموسيقى، أي أنّ إيقاع الجملة، وعلائق الأصوات والمعاني والصّور، وطاقة الكلام الإيحائيّة، والذيول التي تجرها الإيحاءات... هذه كلّها موسيقى، وهي مستقلّة عن موسيقى الشّكل المنظوم، قد توجد فيه وقد توجد دونه.[22]

وأهميّة الوزن والقافية في الشّعر أنّهما يشكلان العنصر الموسيقى الأول الظاهر في الشّعر تحدّث عنهما النّقاد طويلا فقالوا: الوزن أخص ميزان الشّعر وأبينها في أسلوبه، ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتار والفواصل وعن ترديد التّفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقيّة كلها.[23]

ولعلّ إطلاق مصطلح "موسيقى الشّعر" مقصودا به الوزن والقافية إطلاق له وجاهته، ذلك لأنّ الشّعر هو في الدّرجة الأولى موسيقى، يشبهها في الوزن وانسجام الأصوات وترجيعها بصورة متّسقة بين طويل وقصير، ضعيف وقوّي ولكن وقفات القصيدة لا يضبطها العدد بالدّقة التي تنضبط بها وقفات الموسيقى... والشّعر أيضا موسيقى في قافيته، فهي تصوّر المقطع الذي تنتهي به أبيات القصيدة، ويتردد وقعه في أواخر كل بيت، بحيث تبدو نغمته صدى يتردد بصورة قياسيّة، ينتظره السّامع ويستعد له[24]، فعلى دارس النّص الأدبي أن يتوجّه بالدّراسة والتّحليل إلى هذا العنصر الموسيقي الظاهر، وهما الوزن والقافية.

ما بعد تحليل النّص:[25] ينبغي لدارس النّص بعد هذه الدّراسة التّحليليّة للنّص أن يلقي نظرات على النّص، يمكن أن تسمّى نظرات أخيرة على النّص، وخلال هذه النّظرات يمكن للدّارس أن يستخرج العلاقة القائمة بين النّص وقائله، وبين النّص والبيئة التي قيل فيها، ويمكن أيضا للدّارس سواء كان التّلميذ أو الأستاذ أن يلّقي بعض النّظرات النّاقدة حول التّجربة "الشّعوريّة" لدى الشّاعر في هذا النّص وحول عاطفته في هذا النّص، فمن خلال العلاقة بين النّص وقائله يمكن للتلميذ أن

يكتشف صوّرة الشاعر الفنيّة، وكيف دلت هذه الصّورة عليه، وهذا عن طريق الألفاظ التي انتقاها، والتراكيب التي ألّفها، وصوره التي نسجها، وموسيقاه التي اختارها، كما يمكن للتلميذ أن يتعرف من خلال النّص على مذهبه الأدبي وتوجهه الفني، وعلى ميوله الفكرية، أمّا من خلال دراسة العلاقة بين النّص والبيئة يمكن للتلميذ الذي يدرس النّص عن طريق معلّمه، أن يكتشف أثر البيئة في النّص من خلال اختيار الشاعر لبعض الألفاظ التي تدل على هذه البيئة، سواء أكانت دالة على عادات وتقاليد ونظم وأعراف أم على أفكار ومعتقدات، أو من خلال اختيار الشاعر لموضوعات دون موضوعات، كان للبيئة تأثير فيه .

أمّا عن التجربة الشعورية فتتجلى للتلميذ من خلال دراسته وتحليله للنّص فيعرف إن كانت ذاتية، أو موضوعية، أو خيالية، كما يمكن أن يعرف إن كانت صادقة، أو زائفة، أو كانت عميقة أو سطحية، أي أنّ كل هذه الجوانب الخاصة بالتجربة الشعورية لابد من تحليلها حتى تبدوا واضحة لا لبس فيها.

وأمّا العاطفة فهي الانفعال بالتّجربة الشّعوريّة حبًا أو بغضًا، أو تفاؤلا أو تشاؤمًا وتتجلى للتلميذ من خلال دراسة النّص إن كانت هذه العاطفة صادقة أو زائفة، أو عميقة أو سطحيّة، قويّة أو ضعيفة، مستمرة في النّص كلّه أو فقدت استمراريتها.

إنّ النّصوص الأدبيّة تعتبر محورًا لدراسة الأدب، وأنّ الأساس الذي تقوم عليه هذه النّصوص هو تمكين التّلاميذ من تذوقها فنيًا، ونقصد بالتّذوق الأدبي هو نوع من السّلوك ينشأ من خلال فهم تلاميذ الفصل للمعاني العميقة في النّص الأدبي، والإحساس بجمال أسلوبه، والقدرة على الحكم عليّه بالجودة أو الرّداءة كما يمكن للتّلاميذ اكتشاف جماليّة عناصر الأدب بما فيها (الفكرة، الخيال العاطفة، الأسلوب)، ثم التّعرف على العوامل المؤثرة التي دفعت بالكاتب إلى كتابة هذا النّص.[26]

ولعلّ الهدف الرئيسي من تدريس النّصوص الأدبيّة هو تدريب التّلاميذ على حسن الأداء، وسرعة الفهم وزيادة خبراتهم اللّغوية والفنيّة والثقافيّة والأخلاقيّة مثل (تعوّد التّلاميذ إجادة الإلّقاء، حفظ عدد من القطع الشّعريّة والنّثريّة من خطب العرب وحِكَمهم)، إضافة إلى ما يحفظ من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه (ص) كما أنّ النّص الأدبي يهذّب النّفس، ويصقل العقل بما يُحمّله من قيّم إنسانيّة نبيلة وسمات أخلاقيّة، و توجيه السّلوك الإنساني بوجه عام لذلك أدرك المربّون أهميّة الأدب وأخذوا ينظرون إلى تدريسه نظرة عامّة وشاملة يحيطون فيها بكل ما يتعلمه التّلاميذ من فنون في مراحل التّعليم المختلفة، فدرس الأدب والنّصوص هو الفرصة المحببة التي تستريح فيها عقول التّلاميذ بقراءة القصائد الرّائعة أو القطع النّثريّة المؤثرة.

الهوامش:

---

(1): نضال عبد اللطيف برهم–طرق تدريس الجغرافيا مكتبة المجتمع العربي، عمان ط1 – 2006– ص27–28.

(2): ينظر، طه حسين الدليمي وآخر–أساليب حديثة في تدريس قواعد اللّغة العربيّة، دار الشّروق – عمّان – ط1 – 2004– ص54.

(3) عبد الفتاح حسن البجة– أصول تدريس العربية بين النظرية والتطبيق والممارسة – دار الفكر –الأردن، ط 1، 1999 – ص78.

(4): محمّد عدنان عليوت – تعليم القراءة لمرحلة ريّاض الأطفال والمرحلة الابتدائية، دار اليازوري –عمان – 2007، بدون طبعة ص100.

(5): ينظر إلى المرجع نفسه– ص80–81.

(6): ينظر عبد الفتّاح حسن البجّة – مرجع سابق – ص 79.

(7): رشدي أحمد طعيمة، محمد السيد مناع تعليم العربية بين العلم والفن، دار الفكر العربي القاهرة، ط1، 2000– ص29.

(8): عابد توفيق الهاشمي – الموجّه العملي لمدرّس اللّغة العربيّة – مؤسسّة الرّسالة – بيروت – ط4–1993، ص160.

(9): ينظر محمّد عارف، حسين علي محمّد– دراسات في النص الأدبي، العصر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط4، 1998–ص4.

(10): الطاهر أحمد مكي– الشّعر العربي المعاصر– دار المعارف– ط2–1983– ص 99.

(11): ينظر محمّد عارف، حسين علي محمّد–مرجع سابق– ص 6.

(12): الطاهر أحمد مكي – مرجع سابق – ص101.

(13): المرجع نفسه – ص101.

(14): ينظر محمّد عارف وآخر – مرجع سابق– ص6.

(15): ينظر المرجع السّابق – ص7.

(16): ينظر المرجع السّابق ص 8.

(17):غازي يموت – الفن الأدبي – دار الحداثة – ط1 –1990م– ص42.

(18): المرجع السّابق– ص10.

(19): سيد قطب – النقد الأدبي، أصوله ومناهجه– دار الشروق – القاهرة– ط3– 1980– ص41.

(20): ينظر محمّد عارف، حسين علي محمّد– مرجع سابق– ص11.

(21): غازي يموت– مرجع سابق– ص23.

(22): ينظر محمّد عارف، حسين علي محمّد– ص11.

(23): نقلا عن محمّد عارف وحسين علي محمّد– ص11.

(24): نقلا عن المرجع نفسه –ص12.

(25): غازي يموت، الفن الأدبي – ص73.

(26): ينظر محمّد عارف – مرجع سابق – ص13 –14.